العدد ٢٠١٤/٢٥

الأحد ٢٢ حزيران

تذكار القديس الشهيد في الكهنة

إفسافيوس أسقف سميساط

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الثاني

الرسالة

(رومية ٢: ١٠–١٦)

يا إخوةُ المجدُ والكرامةُ والسلامُ لكلِّ مَن يفعلُ الخيرَ من اليهودِ أولًا ثمَّ من اليونانيين* لأن ليسَ عند اللهِ محاباةٌ للوجوه* فكلُّ الذين أخطأوا بدونِ الناموسِ فبدونِ الناموسِ يهلِكون. وكلُّ الذين أخطأوا في الناموسِ فبالناموسِ يُدانون* لأنَّه ليس السامِعونَ للناموسِ هم أبراراً عند الله بل العامِلونَ بالناموسِ هم يُبرَّرون* فإنَّ الأمَم الذينَ ليس عندهم الناموسُ إذا عملوا بالطبيعةِ بما هو في الناموسِ فهؤلاءِ وإن لم يكن عندهم الناموسُ فهم ناموسٌ لأنفسهم* الذين يُظهرونَ عمل الناموسِ مكتوباً في قلوبهم وضميرُهم شاهدٌ وأفكارُهم تشكو أو تحتجُّ فيما بينها* يوم يدينُ اللهُ سرائرَ الناسِ بحسبِ إنجيلي بيسوعَ المسيح.

«ليس عند الله مُحاباة للوجوه»

لعلّ الفكرة المحورية في المقطع المتلو علينا اليوم، من رسالة القديس بولس إلى أهل رومية، هي أن الله تعالى ليس عنده محاباة للوجوه. وتفسيرها حسبما نقرأ في سياق النص، وفي أماكن أخرى من الرسالة نفسها، أن من يفعل السوء يستجلب على نفسه الشدة والضيق، كائناً من كان، ومن يفعل الصلاح له من عند الله مجد وكرامة، كائناً من كان. يوم كتب الرسول هذا التعليم كانت الإشكالية مطروحة بين أمة تدّعي انتماءها إلى الله وتحتكر ناموسه (اليهود) وأمة لا تعرف الله ولا شرائعه (اليونانيين). القدّيس بولس يأخذ على اليهود أنّهم يستعملون الشرع الإلهي لا لفحص ذواتهم وكشف خطاياهم وتالياً التوبة إلى الله، بل لإدانة أمّة لم يكن قد أعطي لها بعد أن تعرف شرائع الله، بينما هم يعملون الأعمال نفسها التي يدينون اليونانيين عليها! في الإصحاح الأول من الرسالة عينها نرى القديس بولس يحمل بشدّة على رذائل الوثنيين، على الأرجَح لكي لا يُفهَم أنّ جهلهم يبرّر التغاضي عن رذائلهم. بيد أنّه، وفي سياق النصّ عينه، نراه ينتقل فوراً إلى الذين «لم يحتفظوا بمعرفة الله» (١: ٢٨) مسمّياً إياهم بالمنافقين. الرسول إذاً في تعليمه، وكما الله معلّمه، لا يحابي وجه هذا ولا ذاك. في الإصحاح الثاني، الذي منه المقطع المتلو علينا اليوم، يتوجّه الرسول إلى اليهود بكلام قاس قاطع لا يحتمل تأويلا فيبدأ بالقول «لا معذرة لك أيها الإنسان، أياً كنت، يا من يدين الآخرين ويعمل أعمالهم لأنّك حين تدينهم تدين نفسك» (٢: ١). أي أنت أيها الإنسان، كائناً من كنت، أي مهما علا (بنظرك) شأنك بين أهل بيت الله أو مهما نسبتَ لذاتك من تقى وفضيلة وصلاح، كيف لك أن تقيّم صلاح أو تُقى هذا أو ذاك؟ هل حاولت بالحري أن تضع ذاتك إزاء الشرع الإلهي علّك ترى أين أنت منه؟ هذا ما يعنيه الرسول بـ «حين تدينهم تدين نفسك». للرسالة طبعاً إطارها التاريخي، كما قلنا أعلاه. لكنّ التعليم الذي تحويه يتخطى

الإطار التاريخي والجغرافي لإشكالية يهود ويونانيّي آنذاك، ليخاطب واقع المنتمين إلى الله على مدى الأزمنة والمكان. يهود الرسالة إلى أهل رومية يرمزون اليوم إلى كل من أُعطيَ له، بالمعمودية وبحياة الكنيسة وبشارة إنجيلها وخبرات قدّيسيها، أن يبلغ إلى معرفة حقّ الله ولكّنه آثر أن ينقاد لقساوة قلبه فصار متعالياً بدلاً من أن يتّضع ، وديّاناً بدلاً من أن يتوب. عن هؤلاء يقول الرسول بولس أنّهم احتقروا لطف الله وحنانه وصبره بدلاً من أن يَدَعوا لطف الله يقودهم إلى التوبة.

في الآية التي تسبق مباشرة النص الذي نحن بصدده، يقول الرسول بولس: «الشدة والضيق على نفس كل إنسان يفعل السوء، من اليهود أولاً ثم من اليونانيين» (٢: ٩). أي أنّك كائناً من كنت، أمن أهل بيت الله أم من غير المؤمنين، متى انقدْت لفعل السوء استجلبتَ على نفسك غضب الله. أما إن كنت من أولئك الذين «لم يحتفظوا بمعرفة الله»، أي من الذين أعطي لهم أن يعرفوا شريعة الله وعدله وإرادته ولم يلتزموا بها، فالشدة والضيق عليك أولاً. «فكل من أعطي كثيراً يُطلب منه كثير، ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر»، قال ربّنا يسوع المسيح (لوقا ١٢: ٤٨). كذلك الذين لم يُعطى لهم أن يعرفوا، فالشدة والضيق عليهم مقدارها أقلّ. أما الآية التالية، التي بها يبدأ النص المتلو علينا اليوم، ففيها أن كل من يفعل الصلاح، كائناً من كان، له من عند الله مجد وكرامة وسلام. لعلّ ما يهدف إليه الرسول من هذا القول هو أن يؤكّد على أن الخيرات كالمجد والكرامة والسلام هي عطيّة من الله، يمنحها بفعل جوده تعالى ومحبّته، لا بفعل استحقاق هذا أو ذاك. أنت كلما انقدْتَ إلى الصلاح أصبحت أقرب إلى الله، الذي هو أصل الصلاح، كائناً من كنت. بمعنى آخر لا انتماؤك الديني (المرموز إليه هنا بالـ«يهودي») يُقَرّبك حكماً من الله، ولا جهلك (المرموز إليه هنا بالـ«يوناني») يمنَعك حُكماً عن خير الله. هذا ونرى أن المعادلة نفسها يوردها الرسول بولس فيقول: «اليهودي أولاً، ثم اليوناني». وهنا أيضاً لا محاباة للوجوه: فكما أنّ من أودِع كثيراً يُطالَب بأكثر، بديهي أن من كان أميناً لله صادقاً في التزامه وجادّاً في سعيه، يتميّز أيضاً في الإكرام، ولو قليلاً. هذا من جهة الله. أمّا من جهتنا نحن البشر، ولكي لا نحسب - إن كنا على شيء من الصلاح والتّقى - إكرام الله لنا حقاً مُكتسباً، يقول الرسول بولس أن الذين ليس لهم ناموس، أي الذين لم يُعطَ لهم أن يعرفوا الله، بينهم من أصبحت ضمائرُهم ناموسَهم. أي أنّهم بالفطرة يعملون ما يوصي به الله، والتعبير الذي استعمله الرسول بولس بالغ القوة إذ قال: «الذين يُظهرون عمل الناموس (أي شرع الله) مكتوباً في قلوبهم» (٢: ١٤).

المهمّ إذاً ليس أن نعرف إنجيل الله. هذا أُعطي لنا بلا منّة منا بالأساس. المهمّ أن نعمل بإنجيل الله، أن نعيشه، أن يراه الناس فينا أينما حللنا. وإلا لكان انتماؤنا لله قبليّة وتحزّباً لا إيماناً. وكلما أغوانا الميل إلى أن نُقصي

الإنجيل

(متى ٤: ١٨–٢٣)

في ذلك الزمان فيما كان يسوع ماشياً على شاطئِ بحرِ الجليل رأى أخَوين وهما سمعانُ المدعوُّ بطرسُ وأندراوسُ أخوهُ يُلقيانِ شبكةً في البحر (لأنَّهما كانا صيَّادَيْن)* فقال لهما هلمَّ ورائي فأجعلَكما صيَّادَي الناس* فللوقتِ تركا الشباكَ وتبعاهُ* وجازَ من هناك فرأى أخَوَينِ آخرَينِ وهما يعقوبُ بنُ زبدى ويوحنا أخوهُ في سفينةٍ معَ أبيهما زبدى يُصلِحانِ شباكَهما فدعاهما* وللوقتِ تركا السفينةَ وأباهما وتبعاهُ* وكان يسوعُ يُطوفُ الجليلَ كلَّهُ يعلّمُ في مجامعهم ويكرزُ ببشارةِ الملكوتِ ويشفي كلَّ مرضٍ وكلَّ ضُعفٍ في الشعب.

تأمل

«فكل مَن يعترف بي (أو باسمي) قدام الناس أعترف أنا أيضاً به (أو باسمه) قدام أبي الذي في السموات» (متى ١٠: ٣٢).

أنظروا كيف أننا لا

نستطيع أن نُظهر بشجاعة إيماننا بالمسيح وإعترافنا به بدون قوّته وعونه، وكذلك لا يعترف بنا ربنا يسوع المسيح إلّا إذا أفسحنا له المجال لكي يثبّتنا ويعرّفنا بالآب في الحياة الآتية. هذا ما يريد أن يُظهره لنا، لأنه لم يقل: كل مَن يعترف قدام الناس، بل قال: كل مَن يعترف «باسمي» قدام الناس، فباسمه وبمعونته يستطيع الإنسان أن يُظهر بشجاعة إيمانه. وكذلك لم يقل: سأعترف أنا أيضاً، بل قال: سأعترف أنا أيضاً «باسمه» أي من جرّاء حُسن صبره وأمانته لي من خلال إيمانه. لاحظ أيضاً ماذا يقول في ما يلي للذين يجزعون وينكرون إيمانهم: «مَن ينكرني قدّام الناس أنكره أنا أيضاً أمام أبي الذي في السموات» (متى ١٠: ٣٣).

هنا لم يقل مَن ينكر «باسمي» لأن الذي ينكر يفعل ذلك بمعزلٍ عن معونة الله، فيُحرم من هذه المعونة لأنه هو الذي ابتعد أولاً عن الله كونه أحبّ الزمنيّات والأرضيات أكثر عن الله كل من لا يشاركنا إيماننا، فلتذكّرنّ قول الرسول بولس أنّه ثمّة من لا يعرفون الإنجيل ولكنّهم بالفطرة يعملون به إذ صار «مكتوباً في قلوبهم»، ولنفحصنّ قلوبنا إن كان بالفعل مكتوباً فيها الإنجيل وإن كنّا بالفعل أمينين لما أُعطيناه من معرفة ونور.

ليتورجيا

+ تقديس الزمن:

«روح الرب عليَّ لأنه مسحني لأبشِّر المساكين، لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين إلى الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة» (لو ٤: ١٨–١٩).

يسهل جداً تكوين لائحة طويلة بأعياد الكنيسة وتعداد الصلوات اليومية وإعطاء بعض الإرشادات حول كيفية إقامة هذه الصلوات والطقوس المحيطة ببعض الأعياد، والقول للشعب «اذهبوا بسلام» واحفظوا ما تعلّمتم. ليس المهم مجرد حفظ تاريخ الأعياد ومواعيد الصلوات بل فهم معناها وعيشها. لم يتجسد المسيح ويمت على الصليب لكي نحفظ بكل بساطة بعض الطقوس بل لنخلُص. عندما نحتفل بالميلاد والبشارة وغيرهما من الأعياد هناك أمر ما يحدث في هذه الإحتفالات، إنْ داخل الكنيسة أو في حياة كل شخص عضو في جسد المسيح، في عائلة المسيح. هذا الأمر هو تقديس الزمن والحياة. مثلًا إنّ يوم الخامس والعشرين من كانون الأول، يوم عيد الميلاد، لم يعد كأي يوم آخر من السنة على الرغم من انه يتألف من أربع وعشرين ساعة، وليل ونهار إلخ... أهمية اليوم من أهمية الحدث الذي نقيم تذكاره. حدث الميلاد قدّس هذا اليوم، وهكذا باقي أعياد الكنيسة. السؤال المطروح هنا هو كيف يتقدَّس الزمن؟

يقول الأب ألكسندر شميمان ان الزمن هو أيقونة حياتنا الأساسية، صورة تفاؤل حياتنا وتشاؤمها. من خلال الزمن نختبر الحياة كحركة نحو المستقبل، ولكن من جهة أخرى يذوب كل مستقبل بواسطة الزمن متحوّلًا إلى موت وفناء. الزمن يقسم الحياة باستمرار إلى ماضٍ لا يعود موجوداً ومستقبل يقودُ دائماً إلى الموت. يحيط الزمن والوقت بكل أشكال حياتنا. نعيش في الزمن، نستيقظ صباحاً، في ساعة معينة، في يوم معين، في فصل معين. لا نستطيع الهرب من الزمن، لكنه يسير نحو نهاية أكيدة، بتعبير آخر يسير بالبشر نحو الموت. يُخلَق الإنسان ليموت. الله بمحبته المعهودة للبشر أوجد نهايات صغيرة في حياة الإنسان (موعد مع حبيب، نشاط عطلة الأسبوع، ، سفر، لقاء،...) تجعله يتلهى وينسى النهاية الكبيرة أي الموت.

عالج الفلاسفة «مشكلة الزمن» وقالوا ان الحياة لا معنى لها. فلا يهم إذا متّ اليوم أو بعد مئة سنة، فالإنسان ماضٍ إلى الموت والفراغ من بعده. أخافَ الموتُ الفلاسفةَ لأنهم يجهلون ماذا يوجد بعده. إذاً الزمن بالنسبة للوجود البشري لا معنى له إلا إذا وجد أمر ما، في مكان ما، قادر على تخطّي هذا الفراغ واللامعنى.

لا تعطينا الكنيسة حلاًّ نظرياً للموضوع بقدر ما تعطينا خبرةً –

عطيةً، عاشتها منذ أيام الرسل شكلت صلب حياتها الليتورجية، ألا وهي خبرة عيد قيامة المسيح، عيد الفصح أي العبور من الموت إلى الحياة. القيامة هي ظهور الحياة التي لا نهاية لها في هذا العالم المحكوم بالزمن والوقت وتالياً بالموت. الذي قام من بين الأموات لن يموت ثانية، ولما قام فإنه قام في هذا العالم وليس في عالم آخر. نحن على يقين بأن الذي قام في سَحَرَ ذلك اليوم هو أقوى من الموت. لقد حطم الموت. معنى قيامة المسيح هذا هو جوهر المسيحية، «إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل إيمانكم» (١ كور ١٥: ١٤)، وهذا ما حفُظ بكماله في ليتورجيا الكنيسة الأرثوذكسية. تالياً، لكي يفهم الإنسان المسيحي الدورة الليتورجية اليومية والأسبوعية والسنوية عليه أن يعي مركزية القيامة، مركزية يوم القيامة الذي يعطي معنًى لكل الأيام الأخرى ولكل زمن. الفصح هو دائماً النهاية ودائماً البداية. نعيش على الدوام بعد الفصح لنتجه على الدوام نحو الفصح، وكل أحد (يوم الرب) هو استمرارٌ للفصح. بكلام آخر يوم الأحد هو يوم القيامة المستمر في الزمن. ألا نرتل كل أحد «اليوم صار الخلاص للعالم فلنسبّح الذي قام من القبر عنصر حياتنا...»؟ الخوف اليوم هو اننا ننسى البعد القيامي للمسيحية وصرنا نركّز أكثر على الموت من دون ذكر القيامة.

مع العنصرة – كمال الفصح، تأسست الكنيسة، جسد المسيح، الجماعة الجديدة، وصار لحياتها معنًى جديد متأتٍ من القيامة. نحن لم نعد نعيش في زمن يقودنا إلى نهاية لا معنى لها. لم نعطَ فقط معنًى جديداً للحياة، بل صار للموت أيضاً مدلول جديد. المسيح وطئ الموت بالموت لأنه قام. على الرغم من ان المسيحي ما زال يواجه الموت الجسدي، إلا ان هذا الموت ليس سوى دخول إلى سر فصح الرب، عبور من الحياة القديمة إلى الحياة الجديدة. صار للزمن مفهوم جديد، لقد تقدَّس بقيامة الرب. لقد تقدّس الزمن بدخول الرب فيه بالجسد. تجسّد الرب وصار إنساناً مثلنا وأعطانا النعمة لكي نصير على شاكلته. عندما انتصر الرب على الموت وقام وعدنا بالحياة الأبدية في الملكوت إذا ما كنّا معه، لذا نحن لا نخاف الموت بعد اليوم لأننا بانتظار ما هو أفضل.

تُقدّمُ لنا الخِدَمُ الليتورجية والصلواتُ الأحداثَ الخلاصية وتجعلنا نحيا القيامة متوقعين الملكوت في كل لحظة. هدفها أن تجعلنا نعيش في هذا الزمن المعنى الجديد للزمن حين المسيح حطم الموت بالموت ولا نهتم إلّا بالملكوت. تضعنا الصلوات اليومية المختلفة أمام هذه الحقيقة، حقيقة الزمن الجديد بالمسيح، لترفعنا إلى ملكوته. وهذا هو أيضاً هدف كل الصلوات التقديسية كالأسرار مثلاً. لا تخلّصنا فقط من الموت والخطيئة والعبودية، بل تعطينا أيضاً معنًى جديداً لحياتنا وهدفاً جديداً لها: الملكوت. «صار الإله إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb

من الخيرات السماوية التي وعد بها الله. هكذا أيضاً لن ينكر المسيح «باسمه» لكنه سينكره كونه لم يجد فيه أي مبرّر للإعتراف. ذلك الذي عنده محبة الله يبقى في أحضان الله ويبقى الله فيه، كما يقول اللاهوتي حبيب المسيح، لأن الله يبقى في داخل الذي يحبّه، وبطريقة طبيعية يعترف الله بالذي يحبّه حقيقة...

إنّ ربنا يسوع المسيح، رب السماء والأرض، سوف يتكلّم جهاراً أمام الله الآب بحضور الملائكة الواقفين حواليه ورؤساء الملائكة وجميع قوات السموات، في حين أن كل الذين هم من آدم حتى منتهى الدهر سوف يقومون ويقفون إلى جانب المسيح. حينئذٍ، بحضور الجميع وبشهادتهم، سوف يلفظ أسماءهم علناً ويمجّدهم ويكلّل أولئك الذين أظهروا إيمانهم به حتى النهاية...

القديس غريغوريوس بالاماس